البنية الإنزياحية (الاستعارة) في مناظرات الإمام الصادق(عليه السلام)

عصام محسن جواد
أ.د مثنى عبد الرسول الشكري
جامعة بابل / كلية العلوم الاسلامية

The displacement structure (metaphor) in the debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him)

Aisam Muhsin Jawad
D. Muthanaa Eabd Alrasul Alshukri'
University of Babylon / College of Islamic Sciences

Abstract:

Debating is one of the important methods that depend - first - on argument and then the eloquence of persuasion, because of its highly expressive eloquence, especially when it comes from an infallible imam, in addition to that it belongs to the golden age - the Abbasid - which makes it one of the considered Islamic texts, which is revealed from During it, the characteristic of this era, and the linguistic and rhetorical ability possessed by that time; Because it is close to the first era of Islam, and the debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him) have a metaphorical structure whose goal is to demonstrate the ability of the Imam (peace be upon him) to employ linguistic potentials in persuading the corresponding other. Revealing the speaker's way of expressing his intention, which reveals the individual use of his conscious ability to acquire successful expressive dimensions of his vocabulary; Because it has a successful communicative side between the speaker and the receiver.

The nature of this research required that the metaphorical structure be discussed in the debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him), and then came the conclusion of this research, including the important results, followed by a list of sources and references.

Keywords: Debate and metaphor, metaphor, instrumental metaphor, useful metaphor, metaphor in the light of the argumentative scale.

الملخص:

إن المناظرات من الأساليب المهمة التي تعتمد – أولا– على الحجة ثم بلاغة الإقناع, لما تمتلكه من بلاغة عالية للتعبير, لاسيما عندما تصدر من إمام معصوم, فضلا عن أنها تنتمي الى العصر الذهبي– العباسي– مما يجعلها من النصوص الإسلامية المعتبرة, التي تنكشف من خلالها سمة هذا العصر, وما يمتلكه أهل ذلك الزمن من القدرة اللغوية والبلاغية ؛ لقربهم من عصر الاسلام الأول, كما وتمتلك مناظرات الإمام الصادق(عليه السلام) بنية استعارية هدفها بيان مقدرة الإمام(عليه السلام) في توظيف الممكنات اللغوية في اقناع الآخر المناظر, إن الأسلوبية كمنهج تمتلك الركيزة الأساسية في تمثل العلاقات اللغوية من الوجهة الاستعارية, إذ تعمد إلى الكشف عن طريقة المتكلم في التعبير عما يرمي اليه من قصد , فتقوم بالكشف عن الاستعمال الفردي بقدرته الواعية في اكتساب مفرداته ابعاداً تعبيرية ناجحة؛ لكونها تمتلك جنبة تواصلية ناجحة بين المتكلم والمتلقي.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتم تناولي البنية الاستعارية في مناظرات الإمام الصادق(عليه السلام), ومن ثم جاءت خاتمة هذا البحث متضمنة النتائج المهمة , ثم تلتها قائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية :المناظرة والاستعارة , الاستعارة المكنية , الاستعارة المفيدة , الاستعارة في ضوء السلم الحجاجي.

المناظرة والاستعارة :

وسيلة من وسائل التفنن في القول, والتميز في اثبات المعنى إذ يمكن عدها مجالاً خصباً لما تؤديه من دور في نقل المعاني في النص بعدّها ركيزة من ركائز الخطاب.

والاستعارة (تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)[1], وقد افاد منها الإمام الصادق(عليه السلام) في مناظراته حتى عدت ملمحاً أسلوبياً واضحاً, لأهميتها في تقوية المعنى المستعار(بل ايجابه والحكم به)[2], فضلاً عن كونها (تُفخّم من المعنى وتوسّع على المتلقي مساحة التفكير والتصور للمعنى, وكونها لا تعنى الحقيقة وإنما لزيادة التأكيد وقوة في إثبات هذه المساواة له)[3].

أما المناظرة فهي من النصوص التي تعتمد العقل والحجة أداة للإقناع, إذ يشترط في صحة وجودها على ركنين هما (السائل والمجيب), فالمناظرة هي (النظر من جانبين في مسالة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها)[4], وكذلك قيل فيها (هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الآخر, من جهة الإثبات والنفي)[5], ولا يبتعد هذا المعنى عن الدلالة المعجمية التي تحملها لفظة (نظر) إذ قال:(ويقال: ناظرت فلاناً أي صِرتُ نظيراً له في المخاطبة . وناظرتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نظيراً له)[6], أي تعني المقابلة والمساجلة الخطابية بين شخصين من أجل الوصول إلى قناعة أحد الطرفين بالآخر, وهي بذلك– الاستعارة– تلائم المتكلم في الأسلوب الاستعاري الاقناعي؛ لما لها من ايحاء للمعنى المراد إيصاله للمتلقي, وهذا يخدم حال الإمام الصادق(عليه السلام) عندما يكون محاصر علميا وثقافيا واجتماعيا من قبل السلطة العباسية آنذاك, اما الوجه الآخر للاستعارة فهي تمثل الفن الراقي للتصوير والتشبيه بين المحسوس وغير المحسوس , وبين العقلي وغير العقلي , وهذا جاء جاريا وفق معتقد الزنادقة والملاحدة في عصره.

الاستعارة المكنية :

يؤدّي فاعل الاستعارة ما تؤدّيه فَواعِل(الكناية والمجاز في السياق)[7], ويمكن بيان اشتغالها عند مناظرة الإمام(عليه السلام) لمّا سأله الزنديق[8] قائلاً: فمن أين أثبتَ أنبياء ورسلاً؟, **فردّ الإمام**(عليه السلام):**(إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع الخلق)**[9], ثم تبعها اجابة للإمام(عليه السلام) – بعد الاثبات بوجود مدبرٍ لهذا الكون– **إذ قال:(نحن نزعم أنَّ الأرض لا تخلو من حُجّةٍ, ولا تكون الحُجّة إلاّ من عَقِبِ الأنبياء , ما بعث الله نبيّاً قط من غير نسل الأنبياء ؛ وذلك لأنَّ الله شرّع لبني آدم طريقاً منيراً وأخرج من آدم نسلاً طاهراً طيّباً أخرج منه الأنبياء والرسل, هم صفوة الله طُهّروا في الأصلاب وحفظوا في الأرحام, لم يُصبهم سفاح الجاهليّة**[10], **ولا شاب أنسابهم**[11]**؛ لأنَّ الله**(عزّ وجلّ) **جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه, فمن كان خازن علم الله, وأمين غيبهِ, ومستودع سرّهِ, وحجّتهِ على خلقه, وترجمانه ولسانهِ, لا يكون إلاّ بهذهِ الصفةِ, فالحُجّة لا يكون إلاّ من نسلهم)**[12]0

مُنطلق القراءة لنّص الإمام الصادق(عليه السلام) هو من ملاحقة التراكيب من حيث الجُمل والفقرات والصور البلاغية (أي تعتني بالنص من جهة العوامل النحوية والبلاغية وحتى الصوتية ويكون السياق كاشفا للمؤلف لا العكس)[13], فإن القراءة باستحضار الغائب تفيد في تحويل القارئ إلى منتج (لأنها تُثري النص باجتلاب دلالات لا تحصى, ومن ناحية أخرى يشعرون بأن القراءة عمل إبداعي)[14], ومن ذلك تُلحظ الألفاظ التي تكررت من كونها أسماء لأعلام (الأنبياء, آدم, الرسل)[15], وينسحب ذلك بصورة أخرى على الضمائر كانت مخاطبة أو غائبة منفصلة أو متصلة (نحن, هم, وطهروا, حفظوا, أنسابهم, نسلهم)[16].

وهذا إنما يدل على وحدة النص وتماسكه, وإن المعنى الكلي للنص من أوصاف للذات النبوية والإمامية[17] متحدة, والغرض منها (التعظيم والتأكيد والمبالغة)[18], وهذا ما يسمى بالنظم عند الشيخ الجرجاني (حيث يحدد مفهوم العنصر من خلال شبكة العلاقات التركيبية التي تنظم هذا الجزء وهو مرتبط بأقسام أخرى في الشبكة ذاتها)[19] .

إنّ ما ذكرته مسبقا هو للتمهيد عن الاستعارة في نص الإمام(عليه السلام) الحاضرة مع الأسماء, والضمائر, فتجسّدت الاستعارة عند قوله:(طريقا منيرا) فطريقا استعارة مكنية [أُريد بها تشبيه[20] الإمام أو النبي (عليهم السلام) بالطريق أو هو السبيل إلى الله من قوله تعالى:(**وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ**)[21]؛ كونهم (عليهم السلام) المنهج الواضح, والمنير بهدايتهم للناس إلى سعادتهم الأخروية, والدنيوية, وينجون من ظلمات الشقاء والضلالة في الدنيا, والآخرة, فهو من الاستعارة][22] .

والاستعارة في هذا المشهد (**طريقا منيرا**)[23] والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هو (**شرع لبني آدم**), فنقل (صورة الطريق الحسية إلى عقلي وهي النبوة المتجسدة بتعاليم الدين السماوية)[24], ألا ترى أن الحجّة(عليه السلام) أختار النور ولم يختر الضياء[25].

وشمل هذا النص أيضا شكلا استعاريا لا يبتعد عن الأول, من خلال الصورة التعبيرية بمركب أخر وهو: (**وترجمانه ولسانه**) استعارة مكنية, إذ عبّر الإمام الصادق(عليه السلام) بالاستعارة الأولى عن صفة ومكانة المعصوم كونه نبياً, أو مرسلاً, أو إماماً تجاه العبد المكلف, وأهميته لبيان الشريعة السماوية, أما الاستعارة آنفا(ترجمانه ولسانه) فهي تُصوّر علاقة ووظيفة المعصوم بالنسبة للخالق الباري(جل وعلا)؛ كونه ترجمان القرآن(أن الله لم يرسل الأنبياء والرسل والدعوة الدينية والمراد منها المعجزة الخارقة للعادة, بل أرسلهم باللسان العادي الذي يكلمون به أقوامهم ويحاورونهم ليبينوا مقاصد الوحي من القرآن)[26].

ألا ترى أن هذا النص قد أكْثرت به الصور الحسية فضلا عن المعنوية(وهو سرّ البلاغة في الاستعارة هو بتجسيدها أو تشخيصها)[27]؛ فالسياق جاء متناسبا مع ذهنية المتلقي, فمجموع الاستعارات والضمائر كانت أشبه بالرابط الاقناعي من خلال حرف الواو المتكرر بالنص إذ (يستعمل الواو حجاجيا وذلك من ترتيب الحجج, ووصل بعضها ببعض, بل و تقوي كلّ حجّة منها الأخرى)[28], فكونها متكررة ومتوازنة جاءت للدلالة على شمولية المعنى وأن هذه العلاقات النحوية والبلاغية كالمشيمة باللغة النثرية تغذي هذا النص(يميل التكرار إلى ربط النّص وحجّته, ويسهم في تماسكه المعنوي الداخلي)[29].

الاستعارة المفيدة:

إن الاستعارة عندما تكون لها بلاغة يستشيط لها ذهن المتلقي, وتصبح لها صورة يَتَرَاءى من خلالها دلالة, أو غاية إقناعية, وليس تلاعباً بالألفاظ لغرض التزيين (استعارة لغويّة, واستعارة جماليّة)[30], تسمى بذلك استعارة مفيدة[31], ويمكن لنا الاستبيان عن هذه الحقيقة من خلال مناظرته(عليه السلام) لأبي العوجاء الذي أنكر عظمة بيت الله, والطواف به, وعاب على الحجاج ذلك, فقال:(**إنَّ من أضلّه اللهُ وأعمى قلبه, واستوخم الحقّ ولم يستعذبه, وصار الشيطان وليّه, يورده مناهل الهلكةِ ثُمَّ لا يصدره, وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانهِ, فحثّهم على تعظيمهِ وزيارتهِ, وجعله قبلة للمصلّين له, فهو شعبة من رضوانهِ, وطريق يؤدّي إلى غفرانهِ**)[32].

لزِم الإمام(عليه السلام) في هذه المناظرة استعارات عِدَّة إلا أنها مقلوبة عن سابقتها من حيث المحسوس والعقلي, كونه(عليه السلام) حرص على ملائمة حديثه مع مستوى المتلقي, وهذه احد ركائز المناظرة, فلكل(مقام مقال), إذ تغيّر منهج الزنديق أبي العوجاء من محاولة تشبيه المعقولات بالمحسوسات كعادته, فقد رفض فكرة طواف

الحجيج حول الكعبة التي هي شاهدة أمام العين, وقد وصفها الزنديق بـ(**إلى كم تدوسون هذا البيدر**[33]**, وتلوذون بهذا الحجر, وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر**)[34] وهذا وصف حسي فكانت ردود الإمام(عليه السلام) متناغمة مع هذا التّبدل والتّمظهر الجديد.

فإنَّه(عليه السلام) بنى مناظرته للزنديق على القول الاستعاري كونها لا تفارق المعنى الأصلي للفظ عندما وضع له, ولا يعني هذا تفرد الدلالة الحقيقية على المعنى, فالاستعارة إذ تقوم على شبهٍ بين معنيين, فعمد إلى تشَبّيه الإمام(عليه السلام) القلب بالعين(**وأعمى قلبه**) وقد استعار له لفظ (العمى) وهو من لوازم العين, فالقلب والعين بينهما وشائج وهي (الرؤية) فكما أنَّ للعين رؤية بصريّة فالقلب له رؤية قلبيّة, وبذلك أراد الرؤية المعنوية وليس الحسية وهذا المعنى يُعزّزه القرآن الكريم في قوله تعالى:(فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور)[35]0

ثم استعار للفظة الحقّ في قولهِ (**استوخم الحقّ ولم يستعذبه**) التخمة التي لم يستعذبها وهذه إشارة حسية لثقل الماء أو الطعام؛ فالإمام (عليه السلام) إذ شبه الحق بالطعام غير مرغوب الطعم, فلم يستعذبه, فحذف الطعام, وابقى لازمة له (**الوخامة التي لم يستعذبها**) وهي صفة "الطعام الرديء", فكأن هذا الزنديق وخم الحق عنده لاستحكام الوهم والانكار لما لاحظه من سلوك تعبدي ومناسك التي لا تعني له سوى الجهل وعدم المعرفة؛ لأنه قد وصف – بالبيدر وهو الحجارة التي تدار حولها الناس ولا فائدة منها حسب ما يراه الزنديق– بيت الله (الكعبة) وهو الحق الذي استثقله الزنديق على قلبه وهذه صورة عن الرؤية القلبية وليس الحسية .

كما أعار الإمام للهلكةِ (**يورده مناهل الهلكةِ**) لفظ (مناهل) ليدلّ على أنَّ الزنديق قد استولى عليه الشيطان, وقد ساقه الى أماكن الهلاك الواضح, هذه موازنة بين رسم الكعبة (بيت الله), وبين بيت الهلكة والضلال(المعنوي) ولم يصدره إذ استحكم الشيطان من غوايتهِ, وهذه انتقاله من رسم إلى رسم آخر .

ولم تغّب عن هذا النّص مناهل استعارية أخرى, وجريا على تشبيه الإمام الصادق(عليه السلام) لبيت الشيطان كونه مناهل الهلكة, والضياع عن طريق الحق, والقرآن, فقد استعار الإمام(عليه السلام) بقوله:((**وطريق يؤدّي إلى غفرانهِ**) جريا على الاستعارة المكنية, فقد شبّه الكعبة بالطريق القويم المستقيم أي الصراط الذي لا يحيد عنه مسلم, إذ حذف لفظ الكعبة وأجرى لازمها لفظ الطريق الى غفرانه, وهذا خروج عن الحسية الى المعنوية؛ لأن المتلقي "الزنديق" أنكر عظمة بيت الله وأهميته عند المسلمين ووصفه بـ(**وتلوذون بهذا الحجر**), فجاء ردّ الإمام(عليه السلام) بهذا الوصف (**طريق الى غفرانه**) وليس ببعيد عن وصف جده الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) بعد ان استوحشوا طريق الحق (**لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ**)[36].

كشف لنا هذا السياق بقدرته في التحولات الكلامية, أو النصية بشكل عام, إلى تأثر الكلمات وحتى النص بمجموع ألفاظه بالبيئة التي يحتلها (فإن الاستعارة هي تحويل للكلمة أو المصطلح من بيئة فنية إلى بيئة أخرى مغايرة)[37], فالانتقال من بيئة حسية إلى بيئة معنوية تطلبها تحوّل المتلقي بعناده واستهزائه.

إن السياق الذي حضر فيه المتكلم والمتلقي تحت غطاء المناظرة أوجب المقابلة في هذا النص, الذي تعددت الأوجه الاستعارية فيه (استوخم الحقّ ولم يستعذبه, يورده مناهل الهلكةِ, وطريق يؤدّي إلى غفرانهِ) وهذه سميت بالتعنقد الاستعاري, فيوصف التعنقد بالجملة الكبيرة قبالة الجملة الصغيرة (عدد الاستعارات)؛ أي أن المتكلم قد راعى خطاب المتلقي, ويمكن تسميته الجملة الكبيرة(باستعارة التوازي)؛لأن الإمام(عليه السلام) لمّا رأى الزنديق قد اتجه بسؤاله الإنكاري المستبطن بالاستهزاء والاستحقار(**إلى كم تدوسون هذا البيدر, وتلوذون بهذا الحجر, وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر**), وأخرج الروح المقدسة في بيت الله(الكعبة)إذ وصفها بالحجر؟!, فتطلّب ردّا موازيا –الجملة الكبيرة–

بنفس القوة ويعاكسه بالاتجاه وهو– تعدد الاستعارات– التصوير المعنوي, وهذا الذي دفع الإمام(عليه السلام) إلى الانفعال و دفاعه عن بيت اللهِ, وشعيرة الحج, وكذلك من أجل التأثير في هذا الزنديق المعاند .

فلم تكن تلك الاستعارات لغرض الجمال, والتفنن لإلقاء رداءٍ مُزيّنٍ مزخرفٍ على خطابهِ, فحسب وإنمّا لغرض اقناعي (فإذا كانت الاستعارة الشعرية تمتلك السامع أكثر من أراغمه, أما الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتسار)[38], وبهذا تكون الاستعارات الّتي شغّلها الإمام(عليه السلام) في صدّه لأبي العوجاء أعطت شُحنةً حجاجيه للنصّ؛ وذلك لأنَّها أسهمت(قوّة الحجاج في المفردات في الاستعمالات الاستعارية أقوى ممّا نحسّه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقيّ)[39].

الاستعارة في ضوء السلم الحجاجي:

لقد تسامى النص وأبان عن منثور استعاري آخر, حينما سأله الزنديق: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟, **فقال**(عليه السلام): **(رأته القلوب بنور الإيمان, وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان, وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب, وإحكام التأليف, ثُمَّ الرسل وآياتها, والكتب ومحكماتها, واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمتهِ دون رؤيتهِ)**[40].

قبل الخوض في مضمار الاستعارة, نقول إن الإمام الصادق(عليه السلام) طرح جدلية العقل والقلب من خلال السياق, وهذا الأمر مطروح في كتاب الله(عز وجل) وبعدد من الدلالات منها قوله تعالى في العقل:(**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**)[41] وكونه الحِجْر:(**هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ**)[42] ثم سمّي العقل بالقلب:(**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**)[43] وهذه عيّنة لا على سبيل الحصر, والملاحظ أن هناك ترادفاً بالمعنى أو تشاركاً في المفهوم ويمكن القول إنّ هناك تنازعاً في الوظائف, وهذا إنما يُدلل على قصدية السياق تجاه المتلقي.

فقد طرح الزنديق فعل (الرؤية) وجاز ذلك على الخالق (كيف يعبد الله الخلق ولم يروه) من قبلِه, وهذا غير ممكن للإنسان, فقد ذكر أبي محمد العسكري (عليه السلام):**[**(إن الله تبارك وتعالى أرى رسول الله بقلبه من نور عظمته ما أحب) وهنا إشارة إلى أمرين وهما: لم تكن على ضوء الكناية لأن الله تعالى نوره فوق مالا يتناهى, والنبوة بقوتها لا تسع ذلك, والثانية هي الرؤية القلبية وتبنى على المحبة والشوق إلى الله تعالى وهذا مصداق قول النبي(صل الله عليه واله وسلم):(من احب لقاء الله احب الله لقائه), واذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة الإدراكية؛ لأن المشاهدة أتم مراتب العلم والمعرفة وهذا مناقض لقوله تعالى:(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)[44], ثم قوله تعالى:(**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**)[45] وقوله تعالى:(**لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**)[46], أي ما كذب فؤاد محمد ما رأى من آيات ربه الكبرى, ورؤية آيات الله لا يستلزم رؤية الله لان رؤية آياته غير رؤية الله وهذا هو الوجه الجلي **]**[47].

وحتى لو سلمنا بذلك وهي الرؤية البصرية فهي غير ممكنة على الله تعالى؛(الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ...فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها حجاب)[48], فالإيمان مراتب وإن القلب هو ترجمان هذا الإيمان وبوابة العقل, فالقلب يعد مركز الإرادة واتخاذ القرار وهذا متجسّد في حديث الرسول محمد (صل الله علي وآله وسلم):(ألا إن الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب)[49], فالمعرفة العقلية لا تكفي لحدوث الاستقامة والقيام بواجباته العبودية, فلابد من إيمان عميق ولا يحدث ذلك الإيمان إلا من عاطفة أو محبة (وهذا إن دلّ فإنما يدل على أن القلب هو المخاطب الحقيقي لأنه موضع التميز والاختيار, أما سائر الأجزاء فمسخرة له, ومغزى الحديث الشريف إن المرء إذا حدث عليه حادث أو غشي عليه فلو قطع أحد الأعضاء لم يحصل الشعور به أما القلب إذا أفاق فيحصل الشعور, فالقلب إذا فرح أو حزن فإن حال سائر الأعضاء يتغير)[50].

بعد هذه المقدمة اتضح أن هناك سلماً تصاعدياً في الرؤية لرب العزة (نور الأيمان و الأثبات بالعقل ثم المشاهدة) كما موضح في الشكل الآتي:

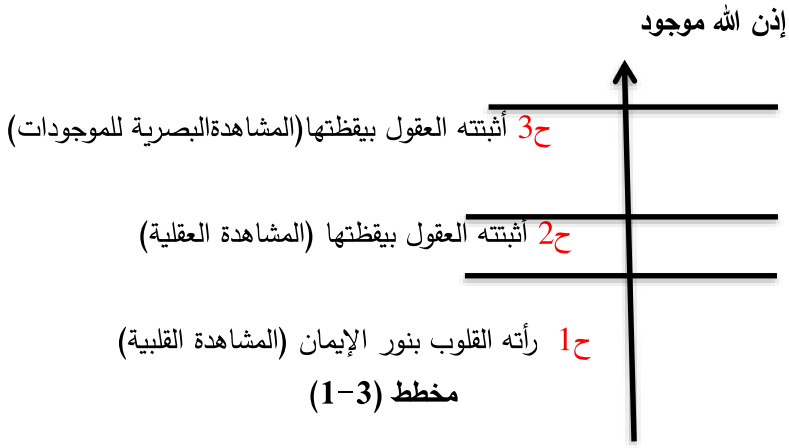

مخطط (3-1)

فالاستعارة كما مبين في لمخطط اعلاه (3-1) جاءت لبيان الرؤية القلبية وهي رؤية معنوية ألبست لباس الحسيّ لتقريب الخطاب إلى الزنديق, وتدرّج الرؤية إلى الحسية من خلال خلق الله في الموجودات (إذ يتضمن جواب الإمام(عليه السلام) بعض الأدلة الوجدانية على وجود الخالق من خلقه للمجرّات والفضاء والتي لا تعتمد على شيء سوى قدرة الله تعالى .ثم العقول الواعية والقلوب المطمئنة بالأيمان هي التي ترى الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته, فالأثر يدل على المؤثر)[51], ثم إن هذا النص أدى إلى تثمير الاستعارة في نفس تركيب الاستعارة المتعنقدة[25] كألفاظ (النور, استعارة العين الباصرة للقلب, وأثبات العقول بيقظة إثبات العيان المشاهدة), فاستعارة النور لا يقصد بها ضياء الشمس أو القمر كما أسلفت, وإنما يقصد بها حقائق الإيمان (بل لم تره العيون بمشاهدة "الأبصار", أي أن المقصود بحقايق الأيمان هو البراهين العقلية)[53], ثم تنسحب (التشبيهات الاستعارية)[54] على العقول كأنها ترى بعين المشاهدة من خلال ما يحيط الأنسان من بدائع خلق الله تعالى .

تلحظ مما مضى أن الإمام الصادق(عليه السلام), سعى في استعاراته إلى اقامة الحجة متكئاً على درجة عالية من الاقناع في الخطاب التعبيري هدفه دحض حجة الآخر, وصحة صواب ما يذهب إليه.

الهوامش:

1. البيان والتبين :1/152-153
2. دلائل الإعجاز: 71
3. أن القول في الاستعارة مشابه للكناية من جهة السامع كون تثبت المعنى لا يعرفُ السَّامعُ ذلك المعنى من اللفظ, ولكنه يعرفه من معنى اللفظ نفسه, كقولك " رأيت أسداً" أي أنه مشابه أو مساوا. ينظر **:دلائل الأعجاز:432**
4. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام, د. طه عبد الرحمن:46
5. ضوابط المعرفة , عبد الرحمن حسين الميداني :373
6. لسان العرب, باب نظر:219/5

7. في اللفظ يُطلق والمراد غيره . اعلم أن هذا الضرب اتّساعا وتفنُّنا لا غاية, إلا أنه على اتساعه يدور في الأعمّ على شيئين: "الكناية" و"المجاز" .**دلائل الأعجاز:66**
8. ابن أبي العوجاء :من تلامذة الحسن البصريّ فانحرف عن التوحد، كان يقول طوراً بالقدر، وطوراً بالجبر وقد قدم على مَلة تمرّداً وإنكاراً على من يحجّ ، وقد كره العلماء مجالسته لخبثِ لسانهِ، وفساد ضميره، وكانت له مناظرات مع الإمام الصادق(عليه السلام). **ينظر: رجال الطوسيّ : 579/11.**
9. ينظر: مناظرات الإمام الصادق :13, و ينظر: الاحتجاج :68/2-69
10. السَّفاح والمُسافَحَةُ: كناية الزنى والفجور, ومنها سفك الدم بغير ذنب وهذه من أفعال الجاهلية وصِنْعها. **ينظر :لسان العرب :2023/3**
11. شَاب: كناية عن الخلط وعدم العراقة. وفي نسخة: وإلا أنسابهم . بحار الأنوار :165/10
12. مناظرات الإمام الصادق:13-14,و ينظر: الاحتجاج: 69/2
13. البُنيويّة, فلسفة موت الأنسان, روجيه غارودي :13
14. البُنيويّة, فلسفة موت الأنسان:354-355
15. والتي لها دلالات لأنفسها والأصل في الأعلام أن تكون دلالة على معين بذاتها, وتشعر معها بمدح أو ذم أو نحوهما . **ينظر: البلاغة العالية, علم المعاني, عبد المتعال الصّعيدي :70**
16. فالضمائر في النص بأنواعها لها دلالات تقوي من حجة المتكلم (الأصل في الضمائر أن تكون على تكلّم أو خطاب أو غيبة, وهي تشعر باعتداد المتكلم بنفسه, أو يبالغ في تعظيم نفسه (نحن), وأما الغائب فدلالته أنزاله منزلة الحاضر, وهذا البيان يدعوا إلى تمكين المعنى في ذهن السامع) .**ينظر: البلاغة العالية, علم المعاني:70-7**
17. قد كان إبراهيم(عليه السلام) نبيا وليس بإمام حتى قال الله تعالى :(اني جاعلك للناس أماما). وعرفت ان الإمامة ولا يشمل النبي من غير الإمامة(عليهم السلام) فهم ليسوا بالانتخاب, وقد يراد بنفس لفظ النبي أمام كما أسلف .**ينظر: الشافي في شرح أصول الكافي :48,25/4**
18. دلائل الأعجاز :71-432-437, فقرات (64-508-515)
19. إشكالية المصطلح, د. يوسف وغليسي:122
20. الاستعارة ضرب من التشبيه, ونمط من التمثيل, والتشبيه قياس, والقياس يجري فيما تعيه القلوب, وتدركه العقول. وتستفتي فيه الأفهام والأذهان, لا الأسماع والآذان. **أسرار البلاغة :20**
21. الحجر:79
22. **الوجوه والنظائر, الوجه الخامس: الإمام: 53, وينظر: المفردات, باب طرق:518, وينظر :الميزان في تفسير القران, العلامة السيد محمد الطبطبائي :330/6,** في تفسير قوله تعالى:(**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)(الأحزاب: 46),** كون المراد بقوله السراج المنير هو القرآن. وكونه السبيل إلى الله: فمازال الأرض ألا ولله فيها الحجة, يُعرف الناس بالحلال والحرام .**ينظر:الشافي:37/4**
23. مناظرات الإمام الصادق:13-14,و ينظر: الاحتجاج: 69/2
24. فلا يكون حجة على الخلق حتى يكون قيّم بتفسير محكماته وتأويل متشابهاته والحافظ لأسرار آياته, والمظهر لأنوار بيانه, فأن من وظائف النور الحسيه في الأصل ما يكون سببا لظهور الأشياء فسمي الوجود نورا, وهكذا العلم لأنه بسببه تتجلى الأشياء للعقل, فكل كمال نور ويسمى كذلك القران نورا .وأن

النور والله نور الأئمة يا أبا خالد هم والله نور الله الذي أنزل . **ينظر: الشافي :87/4, وينظر: بحار الانوار:23:308**

25. كون الضياء ما انتشر من الأجسام المنيرة كما يقال أضاءت النار, و أما النور هو الضوء المنتشر الذي يُعينُ الأبصار, فكأنما الإمام(عليه السلام) شبه علم الخالق (جل وعلا) بالشمس أصل الضياء, والأنبياء والرسل بالقمر المستضيء للزنديق المعاند المجاهر بالكذب وتجسيد الأشياء ؛ حتى يُثّبت الحجة كون علمهم من عند العزيز العليم وليس من عندهم) . **ينظر: المفردات, باب ضوء :514, باب نور:827**
26. الميزان في تفسير القرآن:14-15
27. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد البلاغيين , د. أحمد الصاوي:142, وينظر: الكشاف :ا/218-219
28. استراتيجيات الخطاب :472
29. الاستعارة في الخطاب, ترجمة عماد عبد اللطيف:62
30. اللغة والحجاج:108
31. استعارة مفيدة وغير مفيدة, فالاستعارة المفيدة تؤدي دورا أساسيا في البناء الشعري ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره, أما غير مفيدة فهي تلاعب بالألفاظ وتسمى غير الحجاجية . **ينظر: اللغة والحجاج:126**
32. مناظرات الإمام الصادق: 140-141,وينظر: مرآة العقول:23/17
33. البيدر: والبيدر هو كومة القش التي تداس من اجل التخلص من السنابل. **لسان العرب :باب الباء :229**
34. مناظرات الإمام الصادق:140,و ينظر: الاحتجاج :66
35. سورة الحجّ: من الآية: 46
36. شرح نهج البلاغة, ابن حديد :261/10
37. الاستعارة, أبو العدوس :101
38. عندما نتواصل نغير, مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج, د. عبد السلام عشير:118
39. استراتيجيات الخطاب:495
40. مناظرات الإمام الصادق:147, وينظر: الإحتجاج:77/2
41. البقرة :269
42. الفجر:5
43. الحج:46
44. طه :110
45. النجم:11
46. النجم: 18
47. الشافي :105/3-108
48. الشافي:117/3-118
49. بحار الأنوار :23/58

50.بحار الانوار:58/23-24

51.إعلام الهداية, الأمام جعفر بن محمد "الصادق" :108

52.مهمة هذه العناقيد الاستعارية هي إيضاح المطلب وتكثيف الاستعارات في نص معين من أجل أنجاز التقارب في أحاديث التصالح أو لأغراض بلاغية. ينظر :الاستعارة في الخطاب :64-65

53.شرح الشافي: 115/3

54.إن حقيقة المشابهة الذي شكل الاستعارة تطلب تحديد النقاط المتقاربة بمساعدة السياق الذي شكل ذلك التركيب الاستعاري. ينظر :الاستعارة, في النقد: د. أبو العدوس:117

الخاتمة:

- جاءت البنية الاستعارية واضحة وجلية في النص, وهذا ينعكس على سلوك المتكلم في ذلك الزمن, لأنها من الألوان البلاغية التي يميل اليها المتكلم عندما يُحَضر عليه بالحرمان الفكري أو العقائدي,, إذ يسمى هذا المصطلح بـ(الإقامة الجبرية الفكرية), التي تنتهجها السلطة الحاكمة .
- كفن نصيّ أسلوبي تداولي تتقارب الاستعارة مع الكناية , إذ أن هناك تشابه في عملهما من حيث الخفاء, من قبيل استعمال اللفظ ويراد غيره , وهذا المعنى يخدم الإمام(عليه السلام) من حيث المرحلة الزمانية التي عاشها مع الدولة العباسية .
- مما تقدم من النصوص المختارة لكونها متضمنة الفن الاستعاري , لوحظ توظيف الإمام الصادق(عليه السلام) للضمائر لجلبها دلالات متنوعة المعاني متوازية مع ما يذكر من الاسماء الصريحة التي في النص نفسه , من حيث الحضور والغائب.
- يمتلك الإمام(عليه السلام) الفضاء الواسع في توظيف الالفاظ الحسية مع المفردات المعنوية والعكس, وهذه اشارة الى الشجاعة العربية للإمام الصادق(عليه السلام) في استحضار ذهن المتلقي لصورة معينة .
- فرضت طبيعة المناظرة العلمية أو الثقافية أو العقائدية نفسها على الإمام(عليه السلام) ,من كونها تمتلك استعارة مفيدة (حجاجية إقناعيه), وليست استعارة هدفها (الجمال أو اللغة).
- وظف الإمام الصادق(عليه السلام) الاستعارة كفن إقناعي , إذ جاء بطريقة السلم الاستعاري الحجاجي , وهذا مخطط يشير الى نجاعة الالفاظ الاستعارية في ازالة الغموض والتشويش على ذهنية المتلقي بشكل تراتبي تصاعدي .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. الإحتجاج : أحمد بن عليّ بن ابي طالب الطبرسيّ، تعليق وملاحظات : السيّد محمّد باقر الخرسان، مؤسّسة الجواد، بيروت،(د. ط), 1403 هـ.
2. إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, عبد الهادي ظافر الشهري, دار الكتاب الجديد المتحدة, ليبيا, ط1, 2004م
3. الاستعارة في الخطاب, ترجمة, عماد عبد اللطيف, طبع بالهيئة العامة, ط1, 2013م
4. الاستعارة في النقد الأدبي الحديث, د. يوسف أبو العدوس, الاهلية للنشر, ط1, 1997م
5. أسرار البلاغة, عبد القاهر الجرجاني النحوي, تحقيق: محمود محمد شاكر, الناشر المدني, (د. ط)

6. اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1, 2008م
7. اعلام الهداية الإمام جعفر بن محمد الصادق , لجنة التأليف , ليلى مركز الطباعة والنشر العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) , ط1 , 1422هـ
8. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار, الشيخ محمد باقر المجلسي, تحقيق: لجنة من العلماء, دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان, ط3, 1983م
9. البلاغة العالية علم المعاني, عبد المتعال الصعيدي, مكتبة الآداب, القاهرة, ط2, 1991م
10. البنيوية فلسفة موت الانسان, روجيه غارودي, ترجمة جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت, ط1, 1079م
11. البيان والتبين, أبي عثمان عمرو بن الجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة– مصر , ط1, 1998م
12. دلائل الإعجاز, الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, (د. ط. ت)
13. الشافي في شرح أصول الكافي, الشيخ عبد الحسين المظفر, مؤسسة التاريخ العربي, بيروت– لبنان, ط1, 2011م
14. شرح نهج البلاغة, لأبي الحديد, تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم, دار احياء الكتب العربية, ط1, 1959م
15. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسين جنكة الميداني, دار القلم، بيروت – لبنان, ط1, 1975م
16. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية, د. عبد السلام عشير, أفريقيا الشرق, 2006م
17. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام , الدكتور طه عبد الرحمن , الدار البيضاء , ط2, 2000م
18. قاموس الرجال, العلامة تحقيق: الشيخ محمد تقي التستري, مؤسسة النشر الاسلامي, (د.ت)
19. لسان العرب, العلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي المصري, تحقيق: عبد الله علي الأكبر, بيروت–لبنان, (د.ت)
20. اللغة والحجاج, د. أبو بكر العزاوي, العمدة في الطبع, ط1, 2006م
21. مرأة العقول في شرح اخبار آل الرسول, العلامة محمد باقر المجلسي, تحقيق: السيد هاشم الرسول, ط2, 1343 هـ
22. المفردات في غريب القرآن, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية – دمشق بيروت, 1412 هـ
23. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين ونقد البلاغيين، د. أحمد عبد السيد الهادي، الناشر منشأة معارف الاسكندرية، 198م
24. مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام), الحاج حسين الشاكري, مطبعة ستارة, ط1, 1418هـ
25. الميزان في تفسير القرآن, العلامة محمد حسين الطباطبائي, منشورات جماعة الدارسين, قم (د.ت)
26. الوجوه والنظائر, لمقاتل بن سليمان, تحقيق: د. حاتم صالح الضامن, مكتبة الرشد, العراق– بغداد, (د.ت)

Sources and References:

The Holy Quran

1. The protest: Ahmad bin Ali bin Abi Talib Al-Tabarsi, commentary and notes: Mr. Muhammad Baqir Al-Khursan, Al-Jawad Establishment, Beirut, 1403 AH.
2. Discourse strategies: a pragmatic linguistic approach, Abdul Hadi Dhafer Al-Shehri, United New Book House, Libya, 2004 AD.
3. Metaphor in the Discourse, translation, Imad Abdel Latif, printed by the General Authority, 2013AD.
4. Metaphor in modern literary criticism, Dr. Youssef Abu Al-Adous, Al-Ahliya Publishing, 1997AD
5. Asrar Al-Balagha, Abdul Qaher Al-Jarjani Al-Nahwi, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani publisher.
6. The problematic of the term in the new Arab critical discourse, Dr. Youssef and Gleesi, Arab House of Science Publishers, 1st Edition, 2008 AD
7. Flags of Guidance, Imam Jaafar bin Muhammad Al-Sadiq, Authoring Committee, Laila Center for International Printing and Publishing for Ahl al-Bayt (peace be upon them), 1422 AH.
8. Bihar Al-Anwar Al-Jami'a Lidur News of the Immaculate Imams, Sheikh Muhammad Baqir Al-Majlisi, investigation: a committee of scholars, Arab Heritage Revival House, Beirut - Lebanon, 3rd edition 1983AD.
9. The high rhetoric of the science of meanings, Abdel Mutaal Al-Saidi, Library of Arts, Cairo, 2nd Edition, 1991 AD
10. Structuralism, the philosophy of human death, Roger Garaudy, translated by George Tarabishi, Dar Al-Tali'a, Beirut, 1079 AD.
11. Al-Bayan and Al-Tabeen, Abi Othman Amr bin Al-Jahiz, investigation: Abdel Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt, 1998 AD.
12. Evidence of Miracles, Sheikh Imam Abi Bakr Abdul Qaher Al-Jarjani, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker.
13. Al-Shafi in Explaining the Origins of Al-Kafi, Sheikh Abdul-Hussein Al-Muzaffar, Foundation for Arab History, Beirut - Lebanon, 2011 AD.
14. Explanation of Nahj al-Balagha, by Abu al-Hadid, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books,1959 AD.
15. Knowledge Controls and the Origins of Reasoning and Debate, Abd al-Rahman Hussein Janka al-Maidani, Dar al-Qalam, Beirut - Lebanon, 1975 AD.
16. When we communicate, we change an epistemological pragmatic approach, d. Abdul Salam Ashir, East Africa, 2006 AD.
17. On the Origins of Dialogue and the Renewal of Theology, Dr. Taha Abdel Rahman, Casablanca, 2nd Edition, 2000 AD.
18. Dictionary of Al-Rijal, Al-Allamah Investigated by: Sheikh Muhammad Taqi Al-Tastari, Islamic Publishing Corporation.
19. Lisan al-Arab, the scholar Abi al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur al-Afriqi al-Misri, investigation: Abdullah Ali al-Akbar, Beirut-Lebanon.
20. Language and pilgrims, Dr. Abu Bakr Al-Azzawi, mayor in print, 2006 AD.
21. The Woman of Reasons in Explanation of the News of the Prophet's Family, Allama Muhammad Baqir Al-Majlisi, investigation: Sayyid Hashem Al-Rasoul, 2nd Edition, 1343 A.H.
22. Al-Mufradat in Gharib Al-Quran, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Isfahani, investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus Beirut, 1412 A.H.

23. The concept of metaphor in linguists' research and rhetorical criticism, Dr. Ahmed Abdel-Sayed Al-Hadi, publisher, Alexandria Knowledge Foundation, 198AD
24. Debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him), Hajj Hussein al-Shakri, Satara Press, 1418 AH.
25. The Balance in the Interpretation of the Qur'an, the scholar Muhammad Husayn Al-Tabataba Publications of the Scholars Group, Qom.
26. Al-Wujooh and Al-Nazaer, by Muqatil bin Suleiman, investigation: Dr. Hatem Saleh Al-Daman, Al-Rushd Library, Iraq - Baghdad.